جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الرمزية الدينية ودلالاتها في ملحمة جلجامش وأرض الأحياء السومرية وما يضاهيها في النسخة البابلية "دراسة تحليلية"

إعداد

د/ محمد حسين قاسم محمود

مدرس تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم بقسم التاريخ والحضارة–
كلية اللغة العربية بالقاهرة – جامعة الأزهر

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. أكتوبر)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية- محكمة- نصف سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الرمزية الدينية ودلالاتها في ملحمة جلجامش وأرض الأحياء السومرية وما يضاهيها في النسخة البابلية "دراسة تحليلية"

محمد حسين قاسم محمود

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، القاهرة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: mohamed_hussein@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى إبراز دور العقيدة الدينية في ملحمة جلجامش وأرض الأحياء، من خلال استخراج الرموز الدينية التي تُفهم من سياقها، وتوضيح دلالاتها، وإعطاء تصور واضح لكيفية تغلب الإنسان على مصيره المحتوم وهو الموت، والحصول على الخلود، من خلال مناقشة قضايا حياتية مهمة عكست مدى تشبث الإنسان بالحياة والخلود وصراعه الأزلي مع الموت رغم إيمانه الكامل باستحالة ذلك، ولكن كيف السبيل إلى تحقيق ذلك؟ وقد أجابت الدراسة عن هذا التساؤل وبينت أن تحقيق ذلك يقتضي قيام الإنسان بعمل عظيم يكتب له الخلود رغم موته، وهنا تكمن إشكالية الدراسة. وقد تم ذلك من خلال اتباع المنهج التحليلي من خلال قراءة ما توفر من نصوص وتحليلها واستخلاص الأفكار المتعلقة بموضوع البحث وعرضها بشكل واضح. وقد أعطت الدراسة تصورًا عن فكرة الملحمة وأحداثها، والرمزية الدينية ودلالاتها، من خلال الآلهة المذكورة فيها، والطبيعة الإلهية لبطلها رغم بشريته، والتماس المشورة والمعونة من الآلهة، من خلال الأدعية وتقديم القرابين، وقدسية غابة الأرز، والوحي بالأحلام وتفسيراتها، وصراع الآلهة. ثم خُتمت الدراسة ببعض النتائج، ومنها: الوعي العميق للفكر العراقي القديم، التعرف على بعض سمات المجتمع العراقي، كون الإنسان محور اهتمامها، أهمية غابة الأرز للعراقيين، علاقة العراقيين بآلهتهم، أهمية الأحلام كرسائل من الآلهة، والصراع بين الآلهة بسبب تداخل وظائفها.

الكلمات المفتاحية: العراق القديم، جلجامش، الآلهة، غابة الأرز، خومبابا.

Religious symbolism and its implications in the Epic of Gilgamesh and the Sumerian Land of the Living and its equivalent in the Babylonian version "analytical study"

Muhammad Hussain Kasem Mahmoud
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Cairo, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: mohamed_hussein@azhar.edu.eg

Abstract :
The research aims to highlight the role of religious belief in the epic of Gilgamesh and the Land of the Living, by extracting understood religious symbols from their context, clarifying their connotations, and giving a clear vision of how one transcends their inevitability. Destiny, which is death, and obtaining immortality, by discussing important life issues that reflected the extent of man's adherence to life and immortality and his eternal struggle with death despite his complete belief in the impossibility of that, but how is that achieved? The study answered this question and made it clear that achieving this requires a person to do a wonderful job that leads to immortality despite his death, and herein lies the problem of the study. This was done by following the analytical approach by reading and analyzing the available texts and extracting ideas related to the research topic and presenting them clearly. The study gave a perception of the idea of the epic and its events, and its religious symbolism and connotations, through the deities mentioned in it, and the divine nature of its hero despite his humanity, and the advice and assistance of the deities, through supplication. Offerings, the sanctity of the Cedar Forest, the revelation of dreams and their interpretations, and the struggle of the gods. Then the study concluded with some results, including: deep awareness of the ancient Iraqi thought, identification of some features of Iraqi society, being the center of human attention, the importance of the rice forest for Iraqis, and the relationship of Iraqis with them. The gods, the importance of dreams as messages from the gods, and the conflict between the gods because of their overlapping functions.

Keywords: Mesopotamia, Gilgamesh, Gods, Cedar Forest, Humbaba.

مقدمة:

أثرت الحضارة العراقية القديمة الفكر الإنساني بالعديد من المنجزات والإسهامات في شتى مجالات الحياة، لا سيما في نتاجها الأدبي، والذي تنوع إلى أساطير، وملاحم، وأغان عاطفية، وأدعية وتراتيل دينية، وغيرها، وتُعتبر الملاحم والأعمال البطولية، أو ما يسمى بأدب الملاحم من أهم الموضوعات الأدبية في العراق القديم، ولقد زخرت الآداب السومرية بالعديد من القصص الملحمية التي تعدد مآثر الأبطال السومريين أمثال إينمركار، لوكال بندا، وجلجامش، وغيرهم.

كان جلجامش بطلًا لعدد من النصوص الأدبية الملحمية، وصل إلينا منها ست ملاحم وهي: ملحمة جلجامش وأجا، جلجامش وأرض الأحياء (محل الدراسة)، جلجامش وثور السماء، وجلجامش وشجرة الحلبو، وجلجامش وإنكيدو والعالم السفلي، وموت جلجامش، ويبدو أن هذه النصوص تم تناقلها عبر الروايات الشفهية، أو تم نسخها من نصوص قديمة بائدة.

تتناول هذه الدراسة موضوعًا من موضوعات الحضارة السومرية، وتسلط الضوء على رائعة من روائعها الأدبية، المتمثلة في ملحمة جلجامش وأرض الأحياء، التي لا تُعتبر إحدى القصص البطولية لخامس ملوك سلالة الوركاء السومرية فحسب، بل عكست مدى الوعي العميق للفكر العراقي القديم.

وتكمن الفكرة الرئيسة لملحمة جلجامش وأرض الأحياء في انشغال بال جلجامش بقضية الموت الذي يلاحق البشر والذي فشل في الانتصار عليه، وسعيه للخلود، والذي يُعدّ من الصفات التي استأثرت بها الآلهة؛ فكان لا بد من القيام بعمل يخلد ذكره بعد مماته، فكان العزم على السفر إلى غابة الأرز أرض الأحياء، وقتل خواوا/ خومبابا حارسها، وجلب أخشابها.

حوت هذه الملحمة بين طياتها العديد من الرموز والدلالات والإشارات على مختلف الأصعدة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، وغيرها، ويأتي على رأسها الرمزية الدينية، ولا شك في أن الدين – كما تشير نصوص الملحمة– كان

حجر الزاوية في أحداثها، فلا حدث يتم فيها إلا تحت سقف الدين، وفي إطار مشيئة الآلهة؛ ومن هنا كان المشهد الديني حاضرًا بشدة في فاعليتها.

وليس أدل على ذلك من كون الملحمة قد ضمت بين ثناياها جملة من الآلهة –على اختلاف مكانتها ووظائفها– وكان لكل إله ورد ذكره دوره في أحداثها، بالإضافة إلى إسهامها إما بتقديم المشورة وإسداء النصح، أو الوحي بالأحلام والرؤى التي تُقذف في روع البطل لتكون خير معين على التنبؤ بما سيقع من أحداث قبل وقوعها، أو من خلال المساعدة الفعلية بما تمتلكه من قوة، وكان يتم ذلك من خلال طلب المشورة بالأدعية والقرابين من بطلها.

ومن الدلالة الدينية التي تستشف من نصوص الملحمة قدسية غابة الأرز ووقوعها تحت سلطة الإله إنليل، وأنه هو الذي قام بتعيين خواوا/ خمبابا حارسًا عليها؛ ومن هنا فإن أي تحرش بالغابة وأشجارها، أو أي اعتداء على حارسها يعتبر عملًا عدائيًا تجاه الإله، ولا بد من معاقبة من يُقدم على فعل ذلك، ولكن أحيانًا ما يحدث صراع بين الآلهة، خاصة حينما تتداخل الوظائف؛ فحينما قدم الإله "أوتو/ شمش" يد المساعدة إلى جلجامش حدث صراع بينه وبين إنليل وفصل في هذا الأمر مجلس الآلهة التي قرر إنزال العقوبة على جلجامش وصديقه إنكيدو.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تقديم دراسة تحليلية لإحدى أهم الملاحم السومرية التي تعكس مدى الوعي الفكري للعراقيين القدماء ونظرتهم للحياة، والتي تكشف مدى تداخل الجوانب الحضارية في مثل هذه النصوص الأدبية.

إشكالية الدراسة:

شغل الأدب الملحمي حيزًا كبيرًا من النتاج الأدبي السومري، وعالج قضايا حياتية مهمة مثل قضية الموت والخلود، وصور مدى تشبث الإنسان بالحياة والخلود وصراعه الأزلي مع الموت رغم إيمانه الكامل باستحالة ذلك، فما السبيل إلى ذلك؟ ستتم الإجابة عن هذا التساؤل في إطار هذا البحث الموسوم بـ

(الرمزيـة الدينيـة ودلالاتهـا فـي ملحمـة جلجـامش وأرض الأحيـاء السـومرية ومـا يضاهيها في النسخة البابلية).

أهداف البحث:

يهـدف البحـث إلـى إبـراز دور العقيـدة الدينيـة فـي الملحمـة، مـن خـلال استخراج الرموز الدينية التي تُفهم من سياقها، وتوضيح دلالاتها، وإعطاء تصور واضح لكيفية تغلب الإنسان على مصيره المحتوم وهو الموت، والحصول على الخلود، من خلال مناقشة بعض القضايا الحياتية.

منهج البحث:

تـم اتبـاع المـنهج التحليلـي مـن خـلال قـراءة مـا تـوفر مـن مراجـع تتعلـق بموضوع البحث، وكتابتها بما يسهم في تقديم المعلومة بشكل واضح.

اشتملت الدراسة على تمهيد وسبعة محاور رئيسية، يتناول التمهيد نبذة عن الملحمة، من حيث فكرتها، والوقوف على أبطالها ومسرح أحداثها، وعلاقتها بملحمة جلجامش البابلية، ويناقش المحور الأول الرمزية الدينية في الملحمة، من خلال جملة الآلهة التي ورد ذكرها فيها، ويوضح المحور الثاني الطبيعة الإلهية لبطلها رغم بشريته، بينما يتناول المحور الثالث استشارة الآلهة وطلب معونتها، ويناقش المحور الرابع تقديم القرابين، ويبحث المحور الخامس مسألة قدسية غابة الأرز، في حين يناقش المحور السادس وحي الآلهة بالأحلام وتفسيراتها، ويتناول المحور السابع والأخير صراع الآلهة. ثم تُختتم الدراسة بالنتائج التي توصل إليها الباحث.

تمهيد: نبذة عن الملحمة:

تُعدّ ملحمة "جلجامش وأرض الأحياء"، والتي تعرف أيضًا بملحمة "جلجامش وخواوا/ خومبابا"[١] إحدى القصص السومرية التي كتبت عن ملوك "أوروك"[٢] (خريطة رقم ١) التي سميت الوركاء فيما بعد[٣]، كما تعتبر إحدى الملاحم التي تناولت بعضًا من أعمال الملك السومري جلجامش البطولية[٤]، والتي تتشابه إلى حد كبير مع ما ورد في ملحمة جلجامش البابلية في ألواحها من الثالث إلى السادس، وهي الألواح التي تناولت سفرة جلجامش مع صديقه إنكيدو إلى غابة الأرز[٥]؛ الأمر الذي يؤكد كونها أحد الأصول السومرية لملحمة

1 Kramer, S. N., "Gilgamesh and the Land of the Living", **JCS**, vol. 1, no. 1, (1947), p. 4.

٢ أوروك: "الوركاء" تُعتبر من أهم المدن السومرية، تقع شرقي نهر الفرات بين مدينتي بغداد والبصرة حاليًا، ويعد الفخار والكتابة من أهم منجزاتها الحضارية. للمزيد انظر: محمد بيومي مهران، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم**، ج ٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٨٥– ١٨٦؛ بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، "تبذ تاريخية في أصول أسماء الأمكنة العراقية"، **مجلة سومر**، م٨، ج١، بغداد، (١٩٥٣)، ص ٢٤٠؛

Kramer, S. N., "Cuneiform Studies and History of Literature: The Sumerian Sacred Marriage Texts", **American philosophical society**, vol . 107, no. 6, (1963), P. 489; Gates, Charles, **, Ancient Cities The Archaeology of Urban Life in The Ancient Near East and Egypt, Greece, and Rome**, Second Edition, London and New York, 2001, pp. 32 f.

٣ ستيفاني دالي، **أساطير من بلاد ما بين النهرين**، ترجمة: نجوى نصر، ط١، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ١٩٩٧، ص ٦٧– ٦٨.

4 Kramer, S. N., "Sumerian Myths and Epic Tales", **ANET**, New Jersey, (1969), p. 47.

٥ طه باقر، **ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان**، ط٥، دار المدى، دمشق، ١٩٨٦، ص ٩٥، ٢١٠– ٢١١؛ محمد خليفة حسن أحمد، **الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم دراسة في ملحمة جلجامش**، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٨٧.

جلجامش البابلية، والتي تمكن أحد شعراء العصر البابلي القديم من صياغتها بأسلوب متفرد وصهرها في نسق واحد؛ فشكلت جزءًا من ملحمة جلجامش البابلية[١]، التي تُعتبر نتيجة مراجعة واعية، للملحمة السومرية بعد خضوعها للعديد من التغيرات التطورية في المعنى والمبنى على حد سواء؛ وفقًا لما تقتضيه طبيعة الانتقال من عصر إلى آخر[٢].

وقد جُمعت الملحمة – محل الدراسة– من أربعة عشر لوحًا وبعض الكسر والتي تم العثور على أكثرها في التنقيبات التي جرت في مدينة "نيبور"[٣] (نفر)[٤]، كما عُثر على قطعة منها في مدينة "كيش"[٥] القريبة من بابل[٦]، ويتألف النص

١ ساكز، هاري، **عظمة بابل "موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة"**، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص ٤٤٥– ٤٤٦.

2 Bing, J. D., "Gilgamesh and Lugalbanda in the Fara Period", **JANES**, vol. 9, (1977), p. 4; Abusch, T., "The Development and Meaning of the Epic of Gilgamesh: An Interpretive Essay", **JAOS**, vol. 121, no. 4, (2001), pp. 614 ff.

٣ نيبور: وهي مدينة "نفر" حاليًا، تقع على بعد ١٦٠ كم جنوبي بغداد الحالية بين مدينتي "كيش" و"شورباك"، وكانت من أهم المراكز الثقافية السومرية، وأكبر مدينة مقدسة في بابل، للمزيد انظر: محمد بيومي مهران، **المرجع السابق**، ص ١٩١؛

Oppenheim, A. L., **Ancient Mesopotamia, Portrait of A Dead Civilization**, Chicago, 1977, p. 117.

4 Hansman, J., "Humbaba and the Land of the Erin-Trees", **Iraq**, vol. 38, no. 1, (1976), p. 23.

٥ كيش: مدينة سومرية مهمة وحاليًا عبارة عن مجموعة من التلال، تقع على بعد حوالي ١٦كم شرق مدينة بابل، ومثلت هذه المدينة نموذجًا من التنظيم السياسي المبكر لدويلات المدن القديمة. للمزيد انظر: محمد بيومي مهران، **المرجع السابق**، ص ١٩٢.

٦ طه باقر، **المرجع السابق**، ص ٢١١؛

Langdon, S. H., **Sumerian Liturgical Texts**, Philadelphia, 1917, p. 124.

الباقي من الملحمة سليمًا بدون تلف من مائة وخمسة وسبعين سطرًا[١].

تكمن أهمية الملحمة في كونها واحدة من روائع الأدب السومري، سواءً فيما يتعلق بالأفكار التي تحتويها، أو في أسلوبها الأدبي وبنائها الفني وإيقاعها المؤثر، وقد تمثلت هذه الأفكار في انشغال بال جلجامش بفكرة الموت التي تلاحقه وهو يرى المنية تتخطف الناس من حوله[٢]، لا سيما وقد استقر في ذهنه أن الخلود في الحياة إنما هو من المزايا التي استأثرت بها الآلهة، وليس للبشر فيه نصيب[٣]، ففي نصوص ملحمة جلجامش نقرأ قوله: "**وحدها الآلهة تعيش أبدً تحت الشمس، أما البشر فأيامهم معدودات، وكل ما يحققونه لا يعدو ريحًا**"[٤]، فإذا كان الموت أمرًا حتميًا على الإنسان؛ فليمت ميتة مجد وفخار، ولا بد من القيام بعمل عظيم يترك له الشهرة والخلود على مر الزمان[٥]، ومن نفس النص نقرأ مقولة جلجامش لصديقه إنكيدو: "**دعني أذهب بعد ذلك أمامك، دع فمك يناديني تقدم لا تخف**"، **هل يجب أن أسقط ، سأكون قد صنعت لي اسمًا**"[٦].

من هنا يقرر جلجامش السفر إلى غابة الأرز أو أرض الأحياء – كما تسميها الملحمة– والتي اختلف في تحديد موقعها الجغرافي والتي يسكنها ويحميها

---

1 Kramer, S. N., "Sumerian Myths and Epic Tales", **ANET**, New Jersey, (1969), p. 47.

٢ فراس السواح، **كنوز الأعماق: قراءة في ملحمة جلجامش**، ط١، دار العربي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٧، ص ٣٣؛ كريمر، صمويل نوح، **من ألواح سومر**، ترجمة: طه باقر، مراجعة أحمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٧، ص ٢٩٠.

٣ نائل حنون، **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، ط٢، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٤٣؛

Abusch, T., **op. cit**., p. 616.

4 Speiser, E. A., "Akkadian Myths and Epics: The Epic of Gilgamesh", Gilgamesh", **ANET**, New Jersey, (1969), p. 79.

٥ جاكوبسن، ثوركيلد، "أرض الرافدين"، **ما قبل الفلسفة**، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (١٩٨٠)، ص ٢٤٧.

6 Speiser, E. A., **op. cit**., p. 79.

كائن مخيف اسمه خواوا / خمبابا[١]، ويحذره صديقه إنكيدو من خطورة هذا السفر معلّلًا تحذيره بأن خواوا لا يقوى أحد على قتاله ونزاله، ولم يأبه جلجامش بتحذير صديقه وأقسم ليبلغن أرض الأحياء مهما كلفه ذلك، فحثه إنكيدو أن يخبر الإله "أوتو/ شمش" بقراره، لأن غابة الأرز تقع تحت سلطانه[٢]، ويستجيب جلجامش لنصيحة إنكيدو ويتضرع إلى "أوتو" ويقدم له القرابين طمعًا في مساندته له في هذه الرحلة، وبعد أخذ ورد وعده "أوتو" بمعاونته، من خلال تعطيل حركة الشياطين السبعة التي تمثل الظواهر الجوية حتى يأمن خطرها في سفره بين الجبال[٣].

وبعد طول سفر يصل جلجامش وإنكيدو إلى الغابة فيخلدان للنوم للراحة من عناء الرحلة، ويرى جلجامش في منامه بعض الأحلام ويفسرها له إنكيدو على كونها بشرى سارة ترمز إلى تغلبهما على المارد خواوا، ويبدأ جلجامش بقطع الأشجار ويسمع خواوا صوت القطع ويستعد للهجوم على جلجامش وصديقه اللذين أصيبا بالرعب والفزع، ويتضرعان إلى الإله "أوتو/ شمش" الذي أرسل الريح العاتية لتشل حركة هواوا الذي يستسلم لهما[٤]، طالبًا منهما العفو وأن يكون

---

١ خواواوا: أو خومبابا هو مارد أو عفريت عهد إليه الإله إنليل بحراسة أرض الأحياء، وقد اختلف في أمره ما بين كونه ماردًا، أو إلهًا عيلاميًا، أو من آلهة الأناضول، أو شمال سوريا، ويرجع ذلك إلى الاختلاف في تحديد موقع غابة الأرز. للمزيد انظر:

Cassin, E., **La Splendeur divine: Introduction à l'étude de la mentalité mésopotamienne**, Paris, 1968, PP. 53 ff; Hansman, J., **op. cit**., pp. 23- 35.

٢ كريمر، صمويل نوح، **المرجع السابق**، ص ٢٩٠.

3 Kramer, S. N., "Gilgamesh and the Land of the Living", **JCS**, vol. 1, no. 1, (1947), p. 4.

٤ محمد خليفة حسن أحمد، **المرجع السابق**، ص ١٦.

خادمًا لهما، ويميل قلب جلجامش إلى العفو عنه لكن يحذره إنكيدو من مغبة ذلك[١]، وقاما بقتله وحمل جثته إلى الإله "إنليل"، وزوجته "ننليل"[٢].

انتهى الصراع الذي دار بين جلجامش وإنكيدو من جانب، وخواوا/ خمبابا من جانب آخر بمصرع الأخير، وحوت نصوص هذه الملحمة بين طياتها العديد من الدلالات والرموز والإشارات على مختلف الأصعدة الدينية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، وغيرها، وستقوم الدراسة بالتركيز على الرمزية الدينية التي تُستشف من قراءة هذه الملحمة.

كان للمعتقدات الدينية للعراقيين القدماء دور كبير في توجيه كافة مناحي حياتهم العامة والخاصة على السواء؛ حيث تدخل الدين في جميع مؤسساتهم، وهيمن على كافة نشاطاتهم، وأثرى نتاجاتهم الفنية والأدبية، لأنهم كانوا يشعرون على الدوام باعتمادهم اعتمادًا كليًّا على إرادة آلهتهم في استمرارية وجودهم[٣].

ومن هنا، فقد كان المشهد الديني حاضرًا بشدة في أحداث ملحمة جلجامش وأرض الأحياء، وقد تمثل ذلك فيما يلي:

أولًا: احتواء نصوصها على جملة من الآلهة:

زخرت الملحمة بالعديد من الشخصيات الإلهية المعروفة في العراق القديم، كما أمدتنا ببعض المعلومات عن هذه الآلهة ووظائفها ومكانتها في عالم الآلهة، وقد تمثلت في:

أ- الإلهة "ننسون": والدة جلجامش، وهي إلهة سومرية ويعني اسمها "سيدة البقر البرية" لارتباط عبادتها بالماشية البرية، وهي زوجة الملك المؤله "لوجال

---

١ كريمر، صمويل نوح، **المرجع السابق**، ص ٢٩٣.

2 Kramer, S. N., " Heroes of Sumer: A New Heroic Age in World History and Literature", **American Philosophical Society**, vol. 90, no. 2, (1946), p. 127.

٣ رو، جورج، **العراق القديم**، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، ط٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٢٨.

باندا" ملك أوروك، وتصفها ملحمة جلجامش بكونها الناصحة والمرشدة لابنها جلجامش ومفسرة أحلامه[1]، كما قامت بدور الوسيط والشفيع لدى الإله "أوتو/ شمش" لحفظ ابنها والعمل على عودته سالمًا إلى وطنه "أوروك"، من خلال القيام ببعض الطقوس الدينية كحرق البخور، وتلاوة الأدعية والابتهالات الدينية للإله "أوتو/ شمش"[2].

ب- الإله "أوتو/ شمش": أوتو بالسومرية، وشمش بالأكدية، هو إله الشمس وهو إله الحق والعدل والاستقامة، وتصفه الأساطير السومرية بكونه ابن الإله "نانا/ سين" إله القمر، والأخ الحنون لإنانا، وكانت مدينتا "لارسا"، و"سيبار" مركز عبادته ومقر معبده "إي- بابار" الذي أطلق عليه اسم "المعبد الأبيض" لطلاء جدرانه الخارجية باللون الأبيض الذي كان يعكس أشعة الشمس[3]، وتمثل دوره في الملحمة في رعايته لجلجامش ومساعدته له في رحلته من بدايتها، كما كان له دور في مجلس الآلهة الذي اجتمع ليحدد مصير جلجامش وإنكيدو وسيأتي تفصيل ذلك.

ج- الإله "إنليل": الإله إنليل بالسومرية، والليل بالأكدية أي سيد العاصفة، وسيد ما بين السماء والأرض، وإله الحرب، وهو الإله الثاني في مجمع الآلهة العظام بعد الإله "آنو" إله السماء، وكانت مدينة "نفر" مقر معبده "إي-

---

١ إدزارد، د.، وآخرون، **قاموس الآلهة والأساطير**، ترجمة: محمد وحيد خياطة، ط١، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٧٢؛

Black, J., and Green, A., **Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia An Illustrated Dictionary**, The British Museum Press, London, 1992, p. 141.

٢ محمد خليفة حسن أحمد، **المرجع السابق**، ص ٥٩- ٦٠.

٣ إدزارد، د.، وآخرون، **المرجع السابق**، ص ٧٥- ٧٦؛

Mcintosh, J. R., **Ancient Mesopotamia New Perspectives**, Oxford, 2005, p. 344; Bertman, Stephen, **Handbook to Life in Ancient Mesopotamia**, New York, 2003, p. 30.

كور" أي " البيت الجبلي" ومركز عبادته، وزوجته هي الإلهة "ننليل"، ومن أبنائه الآلهة إينانا، وأداد، ونرجال، ونينجيرسو وغيرهم[١]، ويكمن دوره في كونه هو الذي عهد إلى خواوا/ خومبابا بحراسة غابة الأرز، بالإضافة إلى دوره في مجلس الآلهة.

د- الإلهة "ننليل": وهي إلهة سومرية، ويعنى اسمها سيدة النسيم، وهي زوجة الإله إنليل، كانت في الأصل تعبد كإحدى آلهات الأمومة، ثم قامت بدور الشفيع والوسيط عند الإله إنليل، وأخذت استقلالها في العصر البابلي القديم، كما كانت توصف بالإلهة الرحيمة التي تحمل كل صفات الأمومة[٢]، وقد ذكرت في الملحمة في سياق الحديث عن قتل خومبابا وتقديم جثته قربانًا لها ولزوجها "إنليل".

هـ- الإلهة "آيا": بالأكدية، و"شريدا" بالسومرية وهي إلهة النور زوجة إله الشمس "أوتو/ شمش"، وتعتبر من أقدم الآلهة السامية في العراق القديم، وترتبط عبادتها بالحب والجنس والخصوبة والإثمار، وحظيت بشعبية خاصة في العصرين البابلي القديم والحديث، وعُبدت مع زوجها الإله "شمش" في لارسا وسيبار[٣]، وذكرت في الملحمة في معرض حديث "ننسون" لزوجها "شمش" حتى تذكره بأمر جلجامش.

و- الإله أدد: بالأكدية، هو إيشكور بالسومرية، وهو ابن الإله آنو أو إنليل، ومن أسمائه "سيد الثروة"، وزوجته الإلهة "شلش" أو "شارا"، وهو إله العاصفة

---

١ جاكوبسن، ثوركيلد، "أرض الرافدين"، **ما قبل الفلسفة**، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (١٩٨٠)، ص ١٦٤؛

Black, J., and Green, A., **op. cit**., p. 76.

٢ إدزارد، د.، وآخرون، **المرجع السابق**، ص ١٧٢- ١٧٣؛

Black, J., and Green, A., **op. cit**., p. 140 f.

٣ إدزارد، د.، وآخرون، **المرجع السابق**، ص ١٠٧؛

Black, J., and Green, A., **op. cit**., p. 173.

والمطر والرعد والوحي، والعارف بالغيب، وكان أحد آلهة الحرب[١]، وكان من الآلهة التي تدخلت في خلق جلجامش فهو الذي اختصه بالبطولة.

ز- الإله "آنو": بالأكدية، و"آن" بالسومرية، وهو إله السماء ويقع ترتيبه في قمة الآلهة السومرية الرئيسة من حيث الأهمية، ورمزه نجمة ذات ثمانية رؤوس؛ إشارة إلى جميع جهات الكون كرمز على وجوده في كل مكان، وهو أبو الآلهة وخالق الكون، وراعي أوروك، عُبد في منطقة "كوللاب" التابعة لأوروك، وكان يفصل بين الآلهة في منازعاتهم، وكانت قراراته مطلقة لا تقبل الرد ولا الاستئناف[٢].

ح- الإله "سين": بالسومرية "ننّا"، وبالأكدية "سين"، إله القمر، ووفقًا للمعتقدات العراقية القديمة؛ فإنه ابن الإلهين "إنليل وننليل" وأبو إله الشمس "أوتو/ شمش"؛ لتوالد النهار من الليل، وقد انتشرت عبادة إله القمر في أنحاء الشرق الأدنى مع اختلاف مسمياته. وكان هناك معبدان للإله سين في مدينة "توتوب" أو "خفاجي"[٣]، وكانت مدينة "أور"[٤] مركز عبادته، وكانت

---

١ سامي سعيد الأحمد، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، دار المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣، ص ٣١- ٣٢؛

op. cit., p. 319; **RIME**, vol. 4, p. 709. Mcintosh, J. R.,

٢ فوزي رشيد، "الديانة (المعتقدات الدينية)"، **حضارة العراق**، ج١، بغداد، (١٩٨٥)، ص ١٤٩؛ رو، جورج، **المرجع السابق**، ص ١٣٣؛ Mcintosh, J. R., **op. cit**., p. 320.

٣ مدينة توتوب: خفاجي حاليًا تقع في منطقة ديالى شرقي مدينة بغداد الحالية، وقد عُبد فيها الإله "سين" إله القمر عند العراقيين القدماء. للمزيد انظر: طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين**، ج ١، ط ١، دار الوراق، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢٦٥.

٤ أور: وتُعرف حاليًا باسم "تل المقير"، تقع على بعد ١٩٠ كم شمال مدينة البصرة في موقع وسط بين بغداد والخليج العربي، وكان لها دور كبير في عصر أسرة أور الثالثة، إذ كانت عاصمة لحكمهم. للمزيد انظر: محمد بيومي مهران، **المرجع السابق**، ص ١٩٤ وما بعدها.

مرتبته هي الأقل مقارنة بالآلهة العراقية الرئيسية[١]، ويأتي دوره في الملحمة بإسهامه في حفظ جلجامش، حيث طلبت "ننسون" من الإله "شمش" أن يوكل إلى "سين" مهمة رعاية جلجامش حينما يحتجب "شمش" في المساء؛ ومن هنا كان لكل إله من هذه الآلهة دوره في الملحمة؛ الأمر الذي يشير إلى هيمنة الآلهة على مجريات الأحداث فيها.

ثانيًا: الطبيعة الإلهية للبطل رغم بشريته:

ومن الدلالات الدينية إضفاء الملحمة على بطلها صفة الألوهية، على الرغم من عدم إغفالها لصفته البشرية؛ فكان البطل –وفقًا للملحمة– ذا طبيعتين إلهية وبشرية؛ فهو ابن الإله لوجال باندا[٢]، والإلهة ننسون[٣]؛ حيث ورد في اللوح الأول من الملحمة: "**نسل لوجال باندا إنه جلجامش المكتمل القوة، ابن البقرة الجليلة رمات ننسون**"[٤].

لاشك في بنوة جلجامش من الإلهة ننسون، أما الاختلاف ففي أبوة لوجال باندا له، وقد اختلفت الروايات التاريخية في أبوة لوجال باندا لجلجامش؛ فتشير إحداها إلى ذلك[٥]، بينما تشير روايات أخرى إلى أن لوجال باندا لم يكن والدًا لجلجامش، بل كان زوجًا لوالدته فقط، أما أبوه فكان رجل "ليلو" ومعناه (المتمتع

---

١ إدزارد، د.، وآخرون، **المرجع السابق**، ص ٨١– ٨٢؛
Jacobsen, Th., The Treasure of Darkness A History of Mesopotamian Religion, Yale University press, London, 1963, p.121.

٢ لوجال باندا: تصفه قوائم الملوك بأنه ابن انمركار ووالد جلجامش وهو ثالث ملوك الوركاء وألّه بعد وفاته، وتذكره قوائم الآلهة المكتشفة في مدينة فارة على أنه من آلهة العالم السفلي،. للمزيد انظر: ستيفاني دالي، **المرجع السابق**، ص ٦٦؛ إدزارد، د.، وآخرون، **المرجع السابق**، ص ١٥٨؛ Mcintosh, J. R., **op. cit**., p. 334.

3 Bing, J. D., **op. cit**., p. 2.

٤ طه باقر، **ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان**، ط٥، دار المدى، دمشق، ١٩٨٦، ص ٧٧.

٥ ستيفاني دالي، **المرجع السابق**، ص ٦٦.

بالخصال الشيطانية)، وأنه كان رئيسًا لكهنة كلاب القسم الثاني من أقسام أوروك[1]، ويمكن التوفيق بين الروايتين في كونه بدأ حياته كاهنًا قبل أن يعتلي عرش أوروك. وربما كان من المغتصبين لعرش أوروك ولم يكن منها، فتبني لنفسة أحد حكامها ليضفي الشرعية على حكمه[2].

كما ورد في اللوح الأول من الملحمة ما نصه: "**بعد أن خُلق جلجامش وأحسن الإله العظيم خلقه، حباه شمش السماوي بالحسن وخصه أدد بالبطولة، جعل الآلهة العظام صورة جلجامش تامة كاملة، كان طوله أحد عشر ذراعًا وعرض صدره تسعة أشبار، ثلثاه إله، وثلثه الآخر بشر**"[3].

يتضح من النصين السابقين تدخل الآلهة مباشرة ليس فقط في عملية ولادة جلجامش؛ فوالده الإله "لوجال باندا"؛ وفقًا لبعض الروايات القائلة بأبوته لجلجامش، ووالدته هي الإلهة "ننسون"، بل كانت للآلهة اليد الطولى في عملية خلقه وحُسن خلقته والتي نُسبت إلى الإله العظيم "إنليل"، بالإضافة إلى أن الإله "شمش" قد وهبه حسن الهيئة والجمال، كما حباه الإله "أدد" بصفات القوة والبطولة؛ ومن هنا كانت صورته تامة كاملة كما وصفته الملحمة.

ويكشف نص آخر كيف اختلطت الصفات الإلهية البشرية في شخص جلجامش، وما تملكته هذه الشخصية من صفات إعجازية نادرة؛ حيث ورد: "**جلجامش.. أيها الملك الكامل، والأمير الحكيم الشجاع، الذي جاب أقطار الأرض، حاكم الأرض ورب العالم السفلي، أنت القاضي تدرك كل شيء كإله، تقف في العالم السفلي تصدر قراراتك النهائية، حكمك لا يتغير وكلمتك لا**

1 Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels**, second edition, University of Chicago Press, Chicago & London, 1949, p. 4; Jacobsen, Th., The Sumerian king list, Chicago, 1939, p. 91.

٢ ستيفاني دالي، **المرجع السابق**، ص ٦٦.

٣ طه باقر، **المرجع السابق**، ص ٧٨.

تنسى، فأنت تبحث وتفحص وتقضي وتدرك وتحكم في عدالة، وقد وضع الإله شمش الحكم والقضاء في يديك، والملوك والولاة والأمراء يخرون أمامك ساجدين"[١].

أكد هذا النص على الصفات التي تحلى بها جلجامش مثل الكمال والحكمة والشجاعة والمعرفة والعدل، تلك الصفات التي أهلته ليجوب البلاد ويحكم الأرض وليكون أحد آلهة العالم السفلي، ومكنته من إدراك ومعرفة كل شئ؛ فصار قاضيًا يوطد أركان العدالة ويثبت دعائمها، وما كان ذلك إلا انعكاسًا للمسحة الإلهية التي مُسح بها؛ فإن الذي وهبه شؤون الحكم والقضاء هو الإله شمش، وهذا ما جعل الملوك والحكام والأمراء يتصاغرون أمامه ويقدمون له فروض الولاء والطاعة.

ونظرًا للطبيعة الإلهية التي وُهبت لجلجامش بأن كان ثلثاه إله، وثلثه الآخر بشر دلالة على تغليب الجانب الإلهي في شخصيته على الجانب البشري؛ ومن هنا كانت طاقته لا تنضب؛ فلم يسترح ليلًا ولا نهارًا، ولم يستطع أحد مضاهاته في ذلك[٢].

ثالثًا: التماس مشورة ومعونة الآلهة:

يتجلى ذلك في استشارة جلجامش لأمه "ننسون" وطلب إسداء النصح، ومباركتها له في هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، والتشفع له عند الإله "شمش"، حيث ورد في النص الآشوري للملحمة: "**ففتح جلجامش فاه، وقال لإنكيدو: "هلم بنا يا صاحبي إلى معبد إي جال ماخ**[٣]**، إلى حضرة ننسون الملكة العظيمة،**

1 Heidel, A., **op. cit**., p. 5.

2 **Ibid**., p. 11.

٣ معبد إي جال ماخ: ومعناه الحصن العظيم، وهو معبد الإلهة جولا في مدينة إيسين، وللإلهة معابد أخرى حملت نفس الاسم في مدن عدة مثل أوروك وبابل ونفر. للمزيد انظر: عباس علي الحسيني، **مملكة إيسن بين الإرث السومري والسيادة الآمورية**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٢٣، ١٢٥– ١٢٦.

فإن ننسون الحكيمة البصيرة بكل معرفة ستمحضنا النصح وتسدد خطانا، فسار جلجامش وإنكيدو وقصدا إي جال ماخ. مثل جلجامش بحضرة "ننسون" الملكة العظيمة، دخل جلجامش واقترب منها وقال: "يا ننسون لقد اعتزمت أمرًا جسيمًا، اعتزمت سفرًا بعيدًا، إلى موطن خومبابا، إني مقدم على قتال لا أعرف عاقبته، ومزمع على السير في طريق لا أعرف مسالكه، فحتى اليوم الذي أذهب فيه وأعود، وإلى أن أبلغ غابة الأرز العظيمة، وأذبح خومبابا المارد، تشفعي لي عند "شمش"، وصلّي له من إجلي.....[1].

وتستجيب "ننسون" لطلب ابنها جلجامش وتقوم بدور الشفيع والوسيط بينه وبين الإله "أوتو/ شمش"، وتلتمس منه القيام بحماية ابنها إلى أن يعود سالمًا إلى وطنه "أوروك"؛ حيث ورد: "**ذهبت ننسون إلى حجرتها وارتدت ثيابًا يليق بجسدها، ولبست حليًا يليق بصدرها، ووضعت تاجًا على رأسها وكانت ثيابها تمسح الأرض، ثم ذهبت إلى مذبح الشمش القائم على السطح، أحرقت البخور ورفعت يديها إلى شمش قائلة: لماذا أعطيت ابني جلجامش قلبًا مضطربًا لا يستقر؟، والآن وقد حثثته فاعتزم سفرًا بعيدًا إلى موطن خومبابا، سيلاقي نزالًا لا يعرف عاقبته، ويسير في طرق لا يعرف مسالكها، فحتى اليوم الذي يذهب فيه ويعود، وحتى يبلغ غابة الأرز العظيمة، ويذبح خومبابا المارد، ويمحو من الأرض كل شئ تمقته، عسى أن توكل به حراس الليل والكواكب وأباك الإله "سين" حينما تحتجب أنت في المساء**"[2].

---

١ طه باقر، **المرجع السابق**، ص ١٠٣- ١٠٤؛
Heidel, A., **op. cit**., p. 41.

٢ طه باقر، **المرجع السابق**، ص ١٠٤- ١٠٥؛ محمد حسن خليفة، **المرجع السابق**، ص ٦٠؛

Heidel, A., **op. cit**., p. 41.

يشير هذا النص إلى أن الإلهة "ننسون" قد قامت بدور الوسيط والشفيع لجلجامش لدى الإله "أوتو/ شمش" بأن يشمله برعايته وحفظه حتى عودته سالمًا إلى دياره، كما نلاحظ من النص أن اختصاص بعض الآلهة بالاستشارة وأخذ النصيحة واللجوء إليها بالصلاة والدعاء كانت إحدى الصفات التي تمايزت بها الآلهة، سواء كان ذلك من إله كما في حالة "الإلهة ننسون"، التي قامت بذلك من خلال طقوس دينية معينة كما ورد ي النص، أومن بشر كما في حالة جلجامش وإنكيدو.

أما في حالة جلجامش وإنكيدو فهي تمثل استشارة البشر للآلهة وطلب معونتها؛ فحين علم إنكيدو باعتزام جلجامش على السفر إلى أرض الأحياء نصحه بأن يخبر الإله "أوتو/ شمش" بقراره، لأن غابة الأرز تقع تحت سلطانه، ويستجيب جلجامش لنصيحة إنكيدو فيذهب إلى "أوتو/ شمش" ويطلب منه مساندته له في هذه الرحلة؛ حيث ورد في ملحمة جلجامش وأرض الأحياء السومرية على لسان جلجامش: "**يا أوتو أريد أن أدخل هذه الأرض فكن حليفي، عزمت على دخول أرض الأرز المقطوع فعساك أن تكون حليفي وسندي**"[1].

وبعد أخذ ورد وعده "أوتو" بمعاونته، لكن الاستشارة وطلب المعونة من الآلهة كانت تتم من خلال طقوس دينية معينة مثل الابتهال والدعاء وتقديم القرابين، وهذا ما سيتم دراسته في العنصر التالي.

رابعًا: تقديم القرابين:

تُعتبر القرابين المقدمة إلى الآلهة إحدى أهم الطقوس الدينية التي عرفت في بلاد النهرين كمظهر من مظاهر تقديسها؛ حيث كانت هذه الآلهة – وفق اعتقادهم– هي المحركة لكل الأحداث التي تقع في الكون؛ وهي التي تمنحهم

1 Kramer, S. N., "Gilgamesh and the Land of the Living", **JCS**, vol. 1, no. 1, (1947), pp. 8- 9;

كريمر، صمويل نوح، **المرجع السابق**، ص ٢٩٥.

الخير وتدفع عنهم الشر، فكانوا يحرقون البخور، ويذرفون الدموع، ويقدمون القرابين لآلهتهم محاولة منهم لاسترضائها ولتجنب عقابها[١].

وقد أشارت النصوص إلى مدى تكريس العراقيين جهدهم لخدمة الآلهة وعبادتها والتقرب إليها بتقديم القرابين والأضحيات؛ اعتقادًا منهم بأن هذا مما يدخل السرور عليهم وعلى الآلهة على السواء؛ حيث ورد في إحدى نصوص الحكم السومرية: "**لم أعرف في حياتي سوى العمل الصالح والعبادة، وشغلت أفكاري بالتضرع إلى الآلهة والتضحية والتقرب إليها، وكانت أوقات عبادة الآلهة سرورًا لقلبي، والأيام التي أسير فيها في مواكب الآلهة مكسبي ونصري في الحياة، ويبعث تمجيد الملك المسرة لقلبي، والموسيقى التي تعزف له مثار غبطتي وسروري، وألزمت أهلي وأتباعي مراعاة شعائر الآلهة وعبادتها، وعلمت الجند طاعة القصر، لأن هذه الأعمال تسر الآلهة...**"[٢]، وفي نص آخر إشارة إلى أن احترام الآلهة وتوقيرها، والتعبد لها وتقديم القرابين والبخور لها، من الأمور التي تجلب رعايتها وتطيل العمر؛ حيث ورد: "**إجلالك لإلهك على الدوام، مع القربان والتضرع بالصلاة والبخور المناسب، يجعلك تشعر برعاية القلب، وهذا ما يناسب الآلهة، فإجلال الإله يجلب الرفاهية، والتضحية تطيل العمر، والصلاة تكفر الذنوب....**"[٣].

وتشير نصوص الملحمة إلى أن الإلهة ننسون قامت بهذه الطقوس كإحراق البخور كقربان، والمثول في حضرة الإله "أوتو/ شمش"، والابتهال إليه، وتلاوة

---

١ عبد الوهاب حميد رشيد، **حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا: العقيدة الدينية- الحياة الاجتماعية- الأفكار الفلسفية**، ط ١، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٩٠، ٢٠٤.

٢ طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٤٨.

3 Pfeiffer, R. H., " Akkadian Proverbs and Counsels", **ANET**, New Jersey, (1969), p. 427;

سهيل قاشا، **الحكمة السومرية في العراق القديم**، ط ١، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ٢٠١١، ص ٨٧.

التعاويذ، وإحضار الكاهنات والبغايا المقدسات والمتبتلات؛ حيث ورد: "**ثم أطفأت البخور، وعوّذت وأحضرت الكاهنات والبغايا المقدسات والمتبتلات**"[١].

كما قام جلجامش بتقديم القرابين للإله "أوتو/ شمش"، في أكثر من موقف؛ فحين اعتزم السفر قدم قربانًا، وكان عبارة عن جديين أحدهما أبيض والآخر أسمر؛ حيث ورد: "**فأمسك جلجامش بيديه جديًا أبيض لا شية فيه، وحمل جديًا أسمر على صدره ليقدمه قربانًا**"[٢]، كما قدم دموعه كقربان، وهذا يظهر في حواره الطويل مع الإله "أوتو/ شمش"، يبث له ما يقلقه من هموم متضرعًا؛ ليقنعه بأن يبارك عزمه وأن يكون معينًا له في رحلته، لا سيما وأن هدفه منها ليس هدفًا شخصيًا فحسب؛ بل سيكون للآلهة منها نصيب ويتقبل منه قربانه ويبارك رحلته ويقرر أن يمد له يد العون؛ حيث ورد: "**يا أوتو أريد أن أكلمك فاستمع لكلمتي، أريد كلمتي أن تصل إليك فاستمع لها، يموت الرجل في مدينتي وهو محزون القلب، يهلك الرجل وقلبه مثقل بالهموم، وهأنذا أنظر من فوق السور، فأشاهد الأجسام الميتة عائمة في النهر، وأنا سيحل بي نفس المصير، والرجل مهما طال لا يستطيع أن يدرك السماء، والرجل مهما عظم لا يستطيع أن يغطي الأرض، وما دام الآجر والختم لم يعلنا النهاية المقدرة، فإني عقدت العزم على دخول هذه الأرض لأخلد اسمي، في مواضعها التي خلدت فيها الأسماء سأرفع اسمي، وفي المواضع التي لم ترفع فيها الأسماء بعد سوف أرفع أسماء الآلهة فتقبل أوتو دموعه كقربان، وكرجل رحيم أظهر له الرحمة والشفقة**"[٣].

وفي موقف ثان يقدم جلجامش قربانًا آخر، حين وصل وصديقه إلى الغابة واجتازا مدخلها وشاهدا جمالها الخلاب، وتتبعا المسالك التي يسير فيها خومبابا،

---

1 Heidel, A., **op. cit**., p. 42.

٢ كريمر، صمويل نوح، **المرجع السابق**، ص ٢٩٥.

3 Kramer, S. N., op. cit., p.11;

كريمر، صمويل نوح، **المرجع السابق**، ص ٢٩٥– ٢٩٦.

وعند غروب الشمس حفر جلجامش بئرًا وقدم الماء والطعام كقربان لـ"أوتو/ شمش"؛ حيث ورد: "**وبعد أن قطعا مسافة عشرين فرسخًا جلسا لتناول طعامهما، وبعد ثلاثين فرسخًا توقفا ليبيتا ليلتهما، خلال النهار قطعا خمسين فرسخًا، استغرقت المسافة منذ طلع لهلال وحتى اكتمل البدر، ثم ثلاثة أيام إضافية، وصلا بعدها إلى لبنان، وهناك حفرا بئرًا أمام شمش، وملأا القرب بالماء وصعد جلجامش إلى قمة الجبل، وقدم قربان الطحين**"[١]، وفي نص آخر: "**وارتقى الجبل وسكب الماء المقدس وقرب الطعام**"[٢].

وفي موقف ثالث، حين همّ جلجامش وإنكيدو بتقطيع الأشجار وسمع خومبابا صوت تقطيعها ويتهيأ للهجوم عليهما، أصيبا برعب شديد؛ الأمر الذي دفعهما إلى التضرع مرة أخرى إلى الإله "أوتو/ شمش" ليقف بجانبهما في هذا الصراع ويستجيب الإله وأرسل على خومبابا الرياح العاتية التي شلت حركته وجعلته يستسلم لجلجامش[٣]؛ حيث ورد: "**ودنت ساعة اللقاء الحاسمة لما بدأ جلجامش يقطع أشجار الأرز بفأسه، إذ سمع خومبابا الصوت، فغضب وهاج وزمجر صائحًا: "من الداخل المتطفل الذي كدر صفو الغابة وأشجارها الباسقة في جبلي؟ ومن ذا الذي قطع أشجار الأرز؟ وتهيأ خومبابا للهجوم على الصديقين اللذين استحوذ عليهما الرعب، وندما على المغامرة ودخول غابة الأرز، وأخذا يتضرعان إلى الإله ليعينهما على الخلاص من الهلاك، فاستجاب لهما الإله، وانقلبت الآية، حيث أهاج شمش الرياح العاتية وساقها على خومبابا، فأمسكت به وشلت حركته، فاستسلم لهما**"[٤].

---

١ ستيفاني دالي، **المرجع السابق**، ص ٩٣.

٢ طه باقر، **ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان**، ص ١٠٧.

٣ محمد حسن خليفة، **المرجع السابق**، ص ١٦.

٤ طه باقر، **المرجع السابق**، ص ١٠٨– ١٠٩؛

Heidel, A., **op. cit**., p. 48.

وأخيرًا، بعد أن قتل جلجامش وإنكيدو خواوا/ خمبابا قدما رأسه قربانًا للإله "إنليل"، وزوجته الإلهة "ننليل"[١]، حيث ورد في النسخة السومرية ما نصه: "**وهنا قال خواوا لإنكيدو: "لقد أوغرت صدره ضدي يا إنكيدو أيها الأجير، لقد أوغرت صدره ضدي". عندما صدر منه هذا القول، قطعا منه العنق، وقدماه قربانًا لإنليل وننليل**"[٢]

نخلص مما سبق إلى أهمية الابتهال إلى الآلهة بالدعاء وإقامة الشعائر وتقديم القرابين كواحدة من أهم الطقوس الدينية التي تستجلب عطف الآلهة ورضاها، وتسهم في وقوفها بجانب من يقدمها لها بالنصر والحفظ والتأييد، وكونها إحدى الرموز والدلالات الدينية في هذه الملحمة.

خامسًا: قدسية الغابة:

اختلفت الآراء في تحديد الموقع الجغرافي لغابة الأرز أو أرض الأحياء؛ فتشير بعضها إلى أن أحداثها قد وقعت في منطقة جبال زاجروس (خريطة رقم ٢) على الحدود الإيرانية شرقي بلاد النهرين[٣]، ويمكن الاستدلال على ذلك بما ورد في نصوص الملحمة حين أسر جلجامش خواوا/ خومبابا طلب الأخير العفو عنه في مقابل أن يكون خادمًا له وأن يقطع الأشجار بيده لبناء المنازل في أوروك، ويبدو أن الهدف الغير معلن من الرحلة إلى أرض الأحياء يكمن أساسًا في الحصول على الأخشاب التي تفتقر إليها البيئة الطبيعية لبلاد النهرين، حيث كانت المصالح الاقتصادية هي الأساس في العلاقات الودية أو العدائية بين أوروك السومرية والدول الأخرى، كما هو الحال في أرض أراتا شرق بلاد

1 Kramer, S. N., "Sumerian Myths and Epic Tales", **ANET**, New Jersey, (1969), p. 48.

٢ فراس السواح، **المرجع السابق**، ص ٣٩؛

Kramer, S. N., **op. cit**., p. 50.

٣ ستيفاني دالي، **المرجع السابق**، ص ٦٨.

النهرين، كما يمكن الاستدلال بالنظر إلى اسم حارسها خومبابا الذي يشتق من اسم الإله العيلامي "خمبان"[١].

وتشير بعض الآراء الأخرى إلى أنها كانت في شمال غرب بلاد النهرين على وجه الخصوص في جبال أمانوس شمال سوريا أو في لبنان، أو جنوب بلاد الأناضول[٢](خريطة رقم ٢)، وقد خاض ملوك بلاد النهر في مختلف العصور حروبًا عديدة من أجل الحصول على الأخشاب التي تعدّ أحد أهم المواد الأولية لبناء الحضارة، لا سيما إذا تعذر الحصول عليه بالوسائل السلمية كالتجارة[٣].

ومهما يكن من أمر، وكما يُفهم من سياق الملحمة؛ فقد أُحيطت الغابة بهالة من القدسية تمثلت فيما يلي:

أ- كونها أرض الأحياء، التي تعني أنها الأرض التي يعيش فيها الخالدون، والتي يمكن للبشر الذين كُتب عليهم الفناء أن يحصلوا فيها على الخلود؛ حيث ورد على لسان جلجامش: "**ولسوف أدخل أرض الأحياء، وأخلد لنفسي هناك اسمًا، ففي الأماكن التي رفعت فيها الأسماء سأرفع اسمي، وفي الأماكن التي لم ترفع فيها الأسماء سأرفع اسم الآلهة، وأقيم لها نصبًا**"[٤].

ب- كما استمدت قدسيتها من كونها تقع تحت رعاية إله الشمس الإله "أوتو/ شمش"، ومن هنا لما عزم جلجامش على الذهاب إلى هذه الأرض حثه صديقه إنكيدو بأن يخبر "أوتو/ شمش" حتى ينعم بدعمه، لأنه راعي

1 Hansman, J., **op. cit**., p. 25- 26.

2 Sanders, N. K., **The Epic Of Gilgamesh**, London, 1972, p. 7 ff; Hansman, J., **op. cit**., p. 26.

٣ محمد حسن خليفة، **المرجع السابق**، ص ١٧٣.

4 Sanders, N. K., **op. cit**., p. 8.

هذه الأرض[١]؛ حيث ورد في النسخة السومرية: "**أبلغ أوتو، البطل أوتو، فتلك الأرض في رعاية أوتو، أرض الأرز الوحشية في رعاية أوتو، أبلغ أوتو**"[٢].

ومن هنا يمكن استنتاج أن هذه الأرض كانت مقر سكنى إله الشمس الإله "أوتو/ شمش" لأنه كان يخرج من المشرق، كما يمكن ترجيح أن موقع أرض الأحياء في مكان ما في جبال زاجروس في شرق بلاد الرافدين كما سبق الذكر[٣].

ج- كما تجلت قدسية الغابة في كون الإله "إنليل" هو الذي أوكل خومبابا –هذا الكائن المخيف – وعهد إليه بحراستها وحفظها حتى لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها، فضلًا عن اختراقها؛ حيث ورد على لسان إنكيدو: "**كيف سندخل غابة الأرز يا جلجامش، وإن حارسها مقاتل وهو قوي لا ينام، ولحفظ غابة الأرز عينه إنليل، وجعل هيئته تبعث الرعب في الناس، خومباب زئيره مثل عباب الطوفان**....."[٤].

د- كونها منصة عرش الإلهة "عشتار"، حيث ورد: "نظروا إلى جبل الأرز، مسكن الآلهة، منصة عرش أرنيني"[٥]. و"أرنيني" هو اسم من أسماء الإلهة عشتار، وربما كان مشتقًا من اسمها السومري "إنانا"، حيث ورد هذا الاسم "أرنيني" في إحدى الصلوات الخاصة بها: "**إليك أرفع صلاتي يا ربّة الربّات ويا إلهة الإلهات، أي عشتار، يا ربّة البشر أجمعين ومسدِّدة خطاهم، أي إرنيني المبجَّلة دومًا، عظيمة الإيجيجي آلهة السماء،أيتها الجبّارة بين**

---

1 Kramer, S. N., **op. cit**., p. 47.

٢ فراس السواح، **المرجع السابق**، ص ٣٤؛

Kramer, S. N., " Heroes of Sumer: A New Heroic Age in World History and Literature", **American Philosophical Society**, vol. 90, no. 2, (1946), p. 128.

3 Hansman, J., **op. cit**., p. 27.

٤ طه باقر، **المرجع السابق**، ص ٩٨.

5 Heidel, A., **op. cit**., p. 45.

الأميرات، عظيم هو اسمك، أنت حقًا نور السماوات والأرض، أيتها الجبّارة يـا ابنـة سـين، أنـت مـن يقـف وراء الأسـلحة الماضـية، ويقـرر المعـارك، أي سيدتي، يـا مـن تحـوز كـل القـوى الإلهيـة وتضـع تـاج السـلطان، أي سيدتي يا من تبسط مجدها وسلطانها فوق الآلهة ...."[1].

نستنتج مما سبق الدور الذي قامت به الآلهة في الغابة، من حيث كونها موضع رعاية "أوتو/شمش" ومقر سكناه، وتعيين إنليل لحارسها خومبابا؛ وكونها منصـة عـرش عشـتار، ومـن هنـا كانـت الحاجـة ماسـة لتـدخل الآلهـة لمسـاعدة جلجامش في دخوله الغابة وهذا سر لجوئه إلى أمه الإلهة "ننسون" والإله أوتو/ شمش".

سادسًا: الوحي بالأحلام:

ومن الدلالات الدينية في الملحمة الأحلام التي كانت توحي بها الآلهة، تلك التي عكست مخاوف العراقيين القدماء ونظرتهم للحياة وما انطوت عليه نفسياتهم، وكان الفاصل بين حدود واقعهم المتمثل في حياتهم اليومية، وبين عالم الآلهة والأحلام خيطًا رفيعًا؛ ومن هنا جاءت أحلامهم ملائمة لعاداتهم وحياتهم الاجتماعية ومعبرة عنها[2].

وقد اعتقد العراقيون بأن الأحلام التي يراها النائم عبارة عن أحداث ستقع في المستقبل، وعليه فلا بد للحالم أن يبحث عن من يفسر له حلمه، لا سيما أهـل الاختصـاص مـن الكهنـة السـقالو أو السـقاليتو ذوات الصـلة بالآلهـة، أو باللجوء إلى الآلهة نفسها التي تعرف نوايا إخوانها من الآلهة وأسرار المستقبل، كما في حالة جلجامش، لأن الآلهة هي التي تقوم بإرسال هذه الأحلام، حتى يتمكنوا من رد شرورها إن حملت شرًا، أو التماس خيرها إن كانت خيرًا، وذلك

1 Stephens, F. J., " Sumero-Akkadian Hymns and Prayers", **ANET**, New Jersey, (1969), p. 483.

٢ سامي سعيد الأحمد، "الأحلام في العراق والعالم القديم"، **مجلة المورد**، مج ٢٠، ع ٢، بغداد، (١٩٩٢)، ص ١٢.

من خلال اللجوء إلى الآلهة والابتهال إليها، حيث ورد في أحد الأدعية الخاصة بذلك ما نصه: "**وعن الحلم الذي تعرفه أنت ولا أعرفه أنا، فإن كان طيبًا فلا تحرمني من طيبه، وإن كان سيئًا فلا تجعل شره يصلني**"[١].

وكان للأحلام دور كبير في معرفة حسن طالع الحالم أو شؤمه، حيث كان لجهة اليمين واليسار والخلف دور مهم في تفسيرها، فقد اعتقدوا بأن جهة الخلف كانت تنذر بالشؤم لدلالتها على التراجع والتقهقر، فموت خصم الشخص أو تغلب الخصم عليه، أو عدم تحقيق الاماني، هي التفسيرات التي اعتمدها الكاهن بعد الاطلاع على الجهات، وفيضان العين اليمنى أو اليسرى بالدمع، وعض اللسان من جهة اليمين أو اليسار، كل له دلالته إما بسوء الطالع أو حسنه[٢].

وقد كان جلجامش وصديقه إنكيدو حريصين على القيام ببعض الطقوس التي تُستحضر فيها رمزية الماء التي من شأنها طرد الشر وإبعاده، وجلب الأحلام المبشرة بالفؤول الحسنة، حيث ورد: "**تحت الشمس حفرا بئرًا، وضعا ماءً عذبًا في ...، صعد جلجامش إلى قمة، نثر دقيقه على المرتفع قائلًا: "أيها الجبل، آتني حلمًا لأرى فألًا حسنًا. أقام إنكيدو لجلجامش بيت إله الأحلام، وضع بابًا في مدخله اتقاءً من البرد، جعله ينام في الدائرة التي اختطها، وتمدد هو متسطحًا كالشبكة عند المدخل، أسند جلجامش حنكه على ساقيه، سنة نوم، ارتخاء الناس، نزلت عليه، في منتصف الليل أنهى سنة نومه، نهض وتحدث إلى صديقه، يا صديقي ألم تنادني؟ لم أنا يقظ؟ ألم تمسسني؟ لم أنا جفل؟ ألم يمر إله، لم بدني خدر؟**"[٣].

---

١ سامي سعيد الأحمد، "معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور"، **مجلة المؤرخ العربي**، ع ٢، بغداد، (١٩٧٥)، ص ٩٠.

2 Langden, S., "A Babylonian Tablet on the Interpretation of Dreams", The museum Journal, vol. 8, no. 2, (1917), p. 119.

٣ نائل حنون، **ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي**، ط ١، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦، ص ١٢٧–١٢٨.

يرى جلجامش مجموعة من الأحلام يرى في الأول كأنهما يقفان بجوار جبل وفجأة يهوي الجبل، وكانا صغيري الحجم كالذباب، حيث ورد: "**يا صديقي رأيت رويا، رأيت أننا نقف في هوة جبل ثم سقط الجبل فجأة، وكنا أنا وأنت كأننا ذباب صغار**"[١]، وفي ترجمة أخرى: "**يا صديقي رأيت حلمي الأول، إن الحلم الذي رأيت فوضى كاملة، فعلى قمم الجبال سقط جبل على، ونحن كذباب القصب الحلو**"[٢].

وكان إنكيدو يقوم بتفسير الأحلام لصديقه جلجامش مطمئنًا له، بعد أن كانت أمه الإلهة "ننسون" هي التي تقوم بهذه المهمة كما تشير نصوص النسخة البابلية، فيبشره بأن حلمه الذي رآه لا يدعو للخوف، وإنما هو بشرى ساقتها إليه الآلهة كفأل حسن لتغلبه على خومبابا والانتصار عليه؛ حيث ورد: "**يا صديقي إن حلمك طيب، إن الجبل الذي رأيته هو خومبابا، سوف نمسك به وننحره**"[٣].

وفي حلم آخر يرى جبلًا يسقط ويصدمه ويمسك بقدمه ورأى في الأفق نورًا عظيمًا انتشله من تحت الجبل وسقاه الماء فسعد قلبه؛ حيث ورد: "**ورأيت في حلمي الثاني الجبل وهو يسقط، فصدمني وأمسك بقدمي، ثم انبثق نور وهاج، طغى لمعانه على هذه الأرض، فانتشلني من تحت الجبل وسقاني الماء فسر قلبي**"، وفسره إنكيدوا على أنه من بشائر النصر[٤].

وربما كان هذا النور الذي ملأ الأفق هو الإله "أوتو/ شمش" دلالة على وقوفه بجانبه، ومن هنا حملت الأحلام التي رآها جلجامش رمزية ودلالة دينية

---

١ طه باقر، **المرجع السابق**، ص ١٠٨.

٢ نائل حنون، **المرجع السابق**، ص ١٢٨.

٣ سامي سعيد الأحمد، "الأحلام في العراق والعالم القديم"، **مجلة المورد**، مج ٢٠، ع ٢، بغداد، (١٩٩٢)، ص ١٥.

٤ طه باقر، **المرجع السابق**، ص ١٠٨.

على اعتبار كونها رسائل من الآلهة لتثبيت قلب جلجامش وصديقه، وكفأل حسن يوحي بانتصارهما على خومبابا.

انتهت مغامرة الرحلة إلى أرض الأحياء بمصرع خومبابا على يد جلجامش وإنكيدو، وعادا إلى أوروك يرفلان في ثياب النصر والفخر، وترمقه الإلهة "عشتار" بعينها وتشتهيه، وتطلب منه الزواج، ولكن جلجامش يرفض ذلك؛ الأمر الذي أغضب "عشتار" ودفعها أن تطلب من إبيها "آنو" أن يقوم بخلق ثور سماوي ليهلك جلجامش، ويتمكن الصديقان من قتله[١].

لسنا بصدد الحديث عن ما دار بين جلجامش وعشتار، بقدر ما يعنينا ما حدث بعد ذلك؛ فبعد أن خلد الصديقان للنوم والراحة جراء مصارعة الثور السماوي يرى إنكيدو حلمًا مفاده أنه رأى الآلهة "آنو"، و"إنليل"، و"إيا"، و"شمش" قد اجتمعوا في مجلس الآلهة لمناقشة قضية قتل خومبابا والثور السماوي؛ حيث ورد: "**ثم طلع النهار، وقال إنكيدو لجلجامش ياله من حلم الذي رأيت، لقد عقد آنو وإنليل وإيا وشمش السماوي مجلسًا، فقال آنو لإنليل لأنهما قتلا خواوا والثور السماوي، واحد منهما يجب أن يموت، ينبغي أن يمت ذلك الذي اقتطع أشجار الأرز من الجبال، ولكن إنليل قال إنكيدو هو الذي سيموت وجلجامش لا يموت، رد شمش على إنليل البطل وقال ألم يقتلا ثور السماء وخواوا بأمر مني؟ لماذا بقع الموت على إنكيدو وهو برئ؟ لكن إنليل غضب والتفت إلى شمش وقال ألأنك تطلع عليهم كل يوم حتى صرت كأنك واحد منهم....**"[٢].

هذا الحلم الذي رآه إنكيدو يناقش رمزية دينية أخرى تحوي العديد من الدلالات وهي قضية الصراع بين الآلهة الذي ينجم عن التداخل في وظائفها،

---

١ وردت هذه القصة في الملحمة السومرية "جلجامش وإنكيدو وثور السماء" وبالتفصيل في اللوح السادس من الملحمة البابلية. للمزيد انظر، فراس السواح، **المرجع السابق**، ص ٣٩؛ طه باقر، **المرجع السابق**، ص ١١١ وما بعدها.

2 Heidel, A., **op. cit**., p. 56.

والتناقض بينها؛ مما يؤدي أحيانًا إلى الصراع فيما بينها، وهذا ما سيناقشه المحور الأخير من محاور هذه الدراسة.

سابعًا: الصراع بين الآلهة:

عبد العراقيون القدماء العديد من الآلهة التي اختلفت مكانتها من حيث الأهمية، واعتقدوا بأنه كان لكل إله وظيفة محددة ومسؤولًا عن ظاهرة طبيعية معينة حتى تنتظم حركة الكون، بدءًا من الآلهة العظام أمثال "آنو"، و"إنليل"، و"إيا"، و"شمش"، و"سين"، وغيرهم، مرورًا بالآلهة الثانوية التي ربما اقتصرت أهمينها على المدن التي عُبدت فيها، وانتهاءً بالآلهة المتواضعة مثل الآلهة المسؤولة عن الحراثة والمعاول والطابوق وغيرها[١].

وقد أعطتنا الملحمة –محل الدراسة– تصورًا واضحًا عن العديد من الآلهة التي عبدت في بلاد النهرين[٢]، من خلال أنشطتها ووظائفها التي تقوم بها؛ حيث يظهر الدور المهم التي قامت به الآلهة في هذه الملحمة، فهي التي تدخلت في عملية خلق وولادة جلجامش، وهي التي وهبته صفات البطولة، وخصته بالجمال وحسن الهيئة كما سبق الذكر، الأمر الذي يحدد بعض صفات الآلهة واختصاصاتها المتنوعة، وعلى الرغم من هذا التنوع إلا أنه يُظهر بعض التناقض بسبب تداخل هذه الوظائف وتعارضها أحيانًا؛ الأمر الذي يولّد الصراع على السيادة في عالم الآلهة[٣].

---

١ رو، جورج، **المرجع السابق**، ص ١٣٠ وما بعدها؛ سامي سعيد الأحمد، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، دار المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣، ص ٢٢ وما بعدها.

٢ للمزيد عن الآلهة التي وردت في الملحمة والتعرف على خصائصها ووظائفها ينظر القائمة الوراردة بالترجمة الإنجليزية لساندرز:

Sanders, N. K., **op. cit**., p. 25 ff.

٣ ناجح المعموري، **المسكوت عنه في ملحمة جلجامش**، ط ١، دار المدى، دمشق، ٢٠١٤، ص ٤٥.

ومما يؤكد ذلك التعارض الذي تحول إلى صراع بين الآلهة الحلم الذي رآه إنكيدو آنف الذكر؛ والذي كشف عن طبيعة الاختلاف بين الآلهة حول موقف إنساني وهو الحكم على إنكيدو بالموت؛ فالإله "أوتو/ شمش" يرى أنه حكم ظالم لأن قتل خومبابا والثور السماوي إنما تم بأمره وتحت عينه، بينما يرى الإله "إنليل" بوجوب موته لأنه حث جلجامش على عدم الاستماع إلى توسلات خومبابا للعفو عنه، والإله "إنليل" هو الذي عين خومبابا لحراسة غابة الأرز؛ ومن ثم فإن قتله يعد تجاوزًا على سلطاته، وكان هذا هو سبب حنقه وغضبه على الإله "شمش" الذي اتُّهم بالتعاطف مع البشر لأنه يطلع عليهم كل يوم وكأنه صار واحدًا منهم كما يُشير النص؛ مما يعني عدم التنسيق بين الآلهة في وظائفها واختصاصاتها؛ الأمر الذي تحول إلى صراع بينها[١].

ومن الملاحظ في النص أن الذي حضر اجتماع مجلس الآلهة[٢] هم الآلهة الأربعة آنو، وإنليل، وإيا، وشمش السماوي، بينما تخلفت الإلهة أورورو، وعشتار، وربما كان هذا بقصد من إنليل فلم يقم بدعوتهما للاجتماع، فبالنسبة لأورورو كان غيابها بسبب معرفتها بما سيحدث وهو الحكم بالموت على إنكيدو وهذا يتناقض مع طبيعة وظيفتها ذات الطابع الإخصابي، بالإضافة إلى أنها هي التي خلقت إنكيدو بطلب من آنو. أما بالنسبة لعشتار فإن سبب غيابها تمثل في عدم دعوتها من قبل إنليل لموقفها العدواني من جلجامش بعدما رفض طلبها بالزواج منه، فالحكم بالحياة لجلجامش يعتبر إهانة لها[٣].

١ محمد خليفة حسن، **المرجع السابق**، ص ٦٦– ٦٧.

٢ عن طبيعة المجلس وقراراته ينظر: أسامة عدنان يحيى، **الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم دراسة في الأساطير**، ط١، دار آشوربانيبال للكتاب، بغداد، ٢٠١٥، ص ٢٧٧ وما بعدها.

٣ ناجح المعموري، **المرجع السابق**، ص ٥٣ وما بعدها.

الخاتمة:

تُعتبر ملحمة جلجامش وأرض الأحياء بنسختيها السومرية والبابلية خير نموذج لخلود العمل الأدبي الذي تعدى حدود الزمان والمكان، فبالرغم من مرور أربعة آلاف سنة على تدوينها؛ إلا أنها ما زالت تُقرأ من جانب البشر بمختلف ثقافاتهم، ولم يعُد جلجامش الذي عاش في الألفية الثالثة قبل الميلاد هو بطلها؛ بل صار الإنسان الذي يحمل بين جنباته القضايا التي حملها والمعاناة التي عاناها هو بطلها الحقيقي، ولم تعُد أوروك هي مسرح أحداثها؛ بل صارت الأرض قاطبة هي مسرح أحداثها.

على عكس الملاحم والأساطير الأخرى التي كانت الآلهة محور اهتمامها، كان الإنسان هو حجر الزاوية في ملحمة جلجامش وأرض الأحياء؛ فقد عالجت هذه الملحمة قضايا الإنسان الأساسية ومواقفه الحياتية، مثل نظرته للكون، علاقته بالآلهة، الوجود والمصير، الحياة والموت، الخير والشر، الحب والبغض، الفرح والحزن، الصداقة والعداوة، المغامرة والقتال، وغيرها؛ من هنا كان الإنسان هو البطل الأول لهذه الملحمة.

كان للعراقيين القدماء فكر ديني تأثر تأثرًا مباشرًا ببيئتهم الطبيعية وظروف حياتهم المعاشة، وقد تغلغل الدين في كافة تفاصيل حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

لم تكن ملحمة جلجامش مجرد قصة بطولية لملك من ملوك سلالة الوركاء السومرية فحسب؛ وإنما عكست مدى الوعي العميق للفكر العراقي القديم ونظرتهم للحياة، من خلال احتواء نصوصها على العديد من الدلالات والرموز والإشارات على مختلف الأصعدة الدينية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، وغيرها، كما كشفت مدى تداخل هذه الجوانب الحضارية في مثل هذه النصوص الأدبية.

كشفت الملحمة عن الأهمية الكبرى لغابة الأرز لدى العراقيين القدماء؛ لذا أضفوا عليها صبغة القدسية، فكونها تحت رعاية "أوتو/ شمش"، وتعيين حارسها

من قبل "إنليل"، واحتواؤها على منصة "عشتار"، وحراستها بواسطة كائن مخيف، ماهو إلا انعكاس لهذه القدسية؛ ومن هنا يمكن القول أن الهدف غير المعلن من الرحلة إلى أرض الأحياء يكمن أساسًا في الحصول على الأخشاب الجيدة التي تسهم في بناء الحضارة، والتي تفتقر إليها البيئة الطبيعية للعراق القديم.

عجت الملحمة بأنواع عديدة من الصراع، بدءًا من الصراع النفسي الداخلي كصراع جلجامش مع الموت وطلب الخلود، ومرورًا بالصراع الخارجي مع خومبابا، وانتهاءً بالصراع بين الآلهة في تقرير مصير الصديقين.

عبرت الملحمة عن الفكر السياسي لدى العراقيين القدماء والذي تجلى في اجتماع مجلس الآلهة الذي عُقد للتشاور والنظر في قضية قتل خومبابا وثور السماء، والذي يمكن التعبير عنه بما يسمى بالديمقراطية البدائية.

الخرائط:

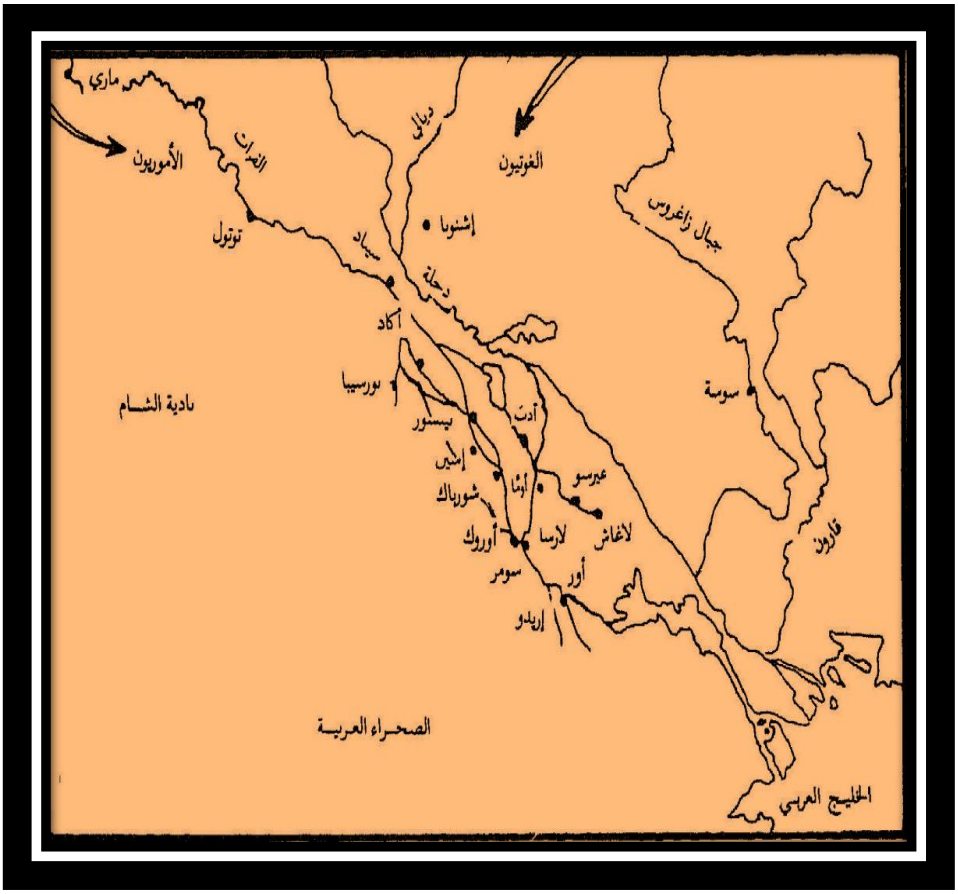

خريطة رقم (١) بلاد سومر وبها موقع أوروك في الألفية الثالثة قبل الميلاد.

نقلًا عن:

محمد حرب فرزات وعيد مرعي، **دول وحضارات في الشرق العربي القديم**، ط ٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٤، ص ١٠٤.

خريطة رقم (٢) الشرق الأدنى القديم، وبها موقع جبال زاجروس على الحدود الشرقية، وسوريا، ولبنان، وبلاد الأناضول.

محمد عبد اللطيف محمد علي، **تاريخ العراق القديم حتى الألف الثالث ق م**، الإسكندرية، ١٩٧٧، ص ٢.

المصادر والمراجع:

أولًا: المراجع العربية:

- أسامة عدنان يحيى، **الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم دراسة في الأساطير**، ط١، دار آشوربانيبال للكتاب، بغداد، ٢٠١٥.
- بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، "نبذ تاريخية في أصول أسماء الأمكنة العراقية"، **مجلة سومر**، م٨، ج١، بغداد، (١٩٥٣)، ص ص .
- سامي سعيد الأحمد، "معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور"، **مجلة المؤرخ العربي**، ع ٢، بغداد، (١٩٧٥)، ص ٥٧- ١١١.
- _____، "الأحلام في العراق والعالم القديم"، **مجلة المورد**، مج ٢٠، ع ٢، بغداد، (١٩٩٢)، ص ١٢- ٢٨.
- _____، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، دار المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣.
- سهيل قاشا، الحكمة السومرية في العراق القديم، ط ١، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ٢٠١١.
- طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، بغداد، ١٩٧٦.
- _____، **ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان**، ط٥، دار المدى، دمشق، ١٩٨٦.
- _____، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين**، ج ١، ط ١، دار الوراق، بغداد، ٢٠٠٩.
- عباس علي الحسيني، **مملكة إيسن بين الإرث السومري والسيادة الآمورية**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.
- عبد الوهاب حميد رشيد، **حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا: العقيدة الدينية- الحياة الاجتماعية- الأفكار الفلسفية**، ط ١، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٤.
- فراس السواح، **كنوز الأعماق: قراءة في ملحمة جلجامش**، ط١، دار العربي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٧.

- فوزي رشيد، "الديانة (المعتقدات الدينية)"، **حضارة العراق**، ج١، بغداد، (١٩٨٥)، ص ١٤٥– ١٩٦.
- محمد بيومي مهران، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم**، ج ٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.
- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، **دول وحضارات في الشرق العربي القديم**، ط ٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٤.
- محمد خليفة حسن أحمد، **الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم دراسة في ملحمة جلجامش**، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧.
- محمد عبد اللطيف محمد علي، **تاريخ العراق القديم حتى الألف الثالث ق م**، الإسكندرية، ١٩٧٧.
- ناجح المعموري، **المسكوت عنه في ملحمة جلجامش**، ط ١، دار المدى، دمشق، ٢٠١٤.
- نائل حنون، **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، ط٢، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
- _____، **ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي**، ط ١، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦.

ثانيًا: المراجع المترجمة:

- إدزارد، د.، وآخرون، **قاموس الآلهة والأساطير**، ترجمة: محمد وحيد خياطة، ط١، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢.
- جاكوبسن، ثوركيلد، "أرض الرافدين"، **ما قبل الفلسفة**، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (١٩٨٠)، ص ١٤٥– ٢٥٩.

- رو، جورج، **العراق القديم**، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، ط٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤.
- ساكز، هاري، **عظمة بابل "موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة"**، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩.
- ستيفاني دالي، **أساطير من بلاد ما بين النهرين (الخليقة، الطوفان، كلكامش، وغيرها)**، ترجمة: نجوى نصر، ط١، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ١٩٩٧.
- كريمر، صمويل نوح، **من ألواح سومر**، ترجمة: طه باقر، مراجعة أحمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٧.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

- Abusch, T., "The Development and Meaning of the Epic of Gilgamesh: An Interpretive Essay", **JAOS**, vol. 121, no. 4, (2001), pp. 614- 622.
- Bertman, Stephen, **Handbook to Life in Ancient Mesopotamia**, New York, 2003.
- Bing, J. D., "Gilgamesh and Lugalbanda in the Fara Period", **JANES**, vol. 9, (1977), pp. 1- 4.
- Black, J., and Green, A., **Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia An Illustrated Dictionary**, The British Museum Press, London, 1992.
- Cassin, E., **La Splendeur divine: Introduction à l'étude de la mentalité mésopotamienne**, Paris, 1968.
- Gates, Ch., **Ancient Cities The Archaeology of Urban Life in The Ancient Near East and Egypt, Greece, and Rome**, Second Edition, London and New York, 2001.
- Hansman, J., "Humbaba and the Land of the Erin-Trees", **Iraq**, vol. 38, no. 1, (1976), pp. 23- 35.
- Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels**, second edition, University of Chicago Press, Chicago & London, 1949.

- Jacobsen, Th., **The Sumerian king list**, Chicago, 1939.
- _____., **The Treasure of Darkness: A History of Mesopotamian Religion**, Yale University press, London, 1963.
- Kramer, S. N., "Heroes of Sumer: A New Heroic Age in World History and Literature", **American Philosophical Society**, vol. 90, no. 2, (1946), pp. 120- 130.
- _____., "Gilgamesh and the Land of the Living", **JCS**, vol. 1, no. 1, (1947), pp. 3- 46.
- _____., "Cuneiform Studies and History of Literature: The Sumerian Sacred Marriage Texts", **American philosophical society**, vol. 107, no. 6, (1963), pp. 485- 527.
- _____., "Sumerian Myths and Epic Tales", **ANET**, New Jersey, (1969), pp. 37- 59.
- Langden, S., "A Babylonian Tablet on the Interpretation of Dreams", **The museum Journal**, vol. 8, no. 2, (1917), pp. 116- 122.
- _____., **Sumerian Liturgical Texts**, Philadelphia, 1917.
- Mcintosh, J. R., **Ancient Mesopotamia New Perspectives**, Oxford, 2005.
- Oppenheim, A. L., **Ancient Mesopotamia, Portrait of A Dead Civilization**, Chicago, 1977.
- Pfeiffer, R. H., "Akkadian Proverbs and Counsels", **ANET**, New Jersey, (1969), pp. 425- 427.
- Sanders, N. K., **The Epic Of Gilgamesh**, London, 1972.
- Speiser, E. A., "Akkadian Myths and Epics: The Epic of Gilgamesh", **ANET**, New Jersey, (1969), pp. 72- 99.
- Stephens, F. J., " Sumero-Akkadian Hymns and Prayers", **ANET**, New Jersey, (1969), pp. 383- 392.